مدى صحة القول
بأن الإنسان خليفة الله في الأرض

الدكتور يوسف الزيوت
قسم أصول الدين
كلية الشريعة -جامعة اليرموك
الأردن

الملخص

يهدف هذا البحث إلى التحقق من مدى صحة ما يتردد على ألسنة كثير من الدعاة وأعلام الفكر المعاصر من المسلمين من قولهم في كثير من المناسبات: إن الإنسان خليفة الله في الأرض، أو خليفة عن الله من أرضه، وذلك عند حديثهم عن دور الإنسان في عمارة الأرض، وقد عرضت المسألة عرضاً موضوعياً، وتبين لي أنه لا يصح إطلاق هذا القول، نظراً لما يلزم عنه من محاذير عقدية ولوازم عقلية فاسدة.

بســـم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلقد شدَّ انتباهي، ما يردده كثير من الدعاة والخطباء وبعض المفكرين والكتاب المسلمين المعاصرين، عند حديثهم عن الإنسان ودوره في عمارة الأرض واستخلافه فيها – فيتردد على ألسنتهم: (إنَّ الإنسان خليفة الله في الأرض) مستدلين بظاهره قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (سورة البقرة ٣٠) ووجدت أن بعض الباحثين قد استشكل هذا القول، فدعاني الأمر إلى بحث هذه المسألة بحثاً موضوعياً في ضوء العقيدة الإسلامية، أبيِّن من خلاله: هل يصح إطلاق القول: إنَّ الإنسان خليفة الله، أو خليفة عن الله، الإنسان نائب الله في الأرض في إقامة شرعه وتنفيذ أحكامه وعمارة الأرض؟! ومن هو هذا الخليفة المذكور في الآية؟ هل هو آدم على وجه الخصوص أم هو الجنس البشري عامة؟ وهل لهذا القول من مخاطر ومحاذير؟.

ولبيان هذه الأمور جاء هذا البحث في: مقدمة، وثلاثة مطالب، في كل مطلب بعض المقاصد، ثم بعد ذلك خاتمة البحث.

أما **المقدمة** فهذه هي، وأشرت فيها إلى الباعث على اختيار هذا الموضوع.

وأما **المطلب الأول**: ففيه مقصدان: الأول منهما خصصته لبيان معنى الخليفة لغة واصطلاحاً، والمقصد الآخر: جعلته لتحديد المراد بالخليفة الذي ذكره الله تعالى في سورة البقرة. أهو آدم خاصة أم الإنسان عامة؟.

وأما **المطلب الثاني**: فهو بعنوان شيوع هذا القول، قديماً وحديثاً، وفيه تمهيد ومقصدان. تحدثت في التمهيد عن سبب عقد هذا المطلب. أما المقصود الأول: فأوردت فيه نماذج من استعمال هذا القول عند العلماء القدماء. وأما المقصد الآخر: فلإيراد نماذج من كلام المعاصرين.

وأما **المطلب الثالث والأخير**: ففي بيان مواقف العلماء وأدلتهم، وفيه أربعة مقاصد: الأول في بيان أقوال الفريق القائل بجواز استعمال ذلك، والأدلة التي استدلوا لها، والثاني تضمن قول الفريق القائل بالمنع وأدلتهم على ذلك، والثالث خصصته لمناقشة أدلة الفريقين، وأما المقصد الرابع، والأخير فجعلته للترجيح بين الأقوال، وأما الخاتمة، فسأذكر فيها النتيجة التي أتوصل إليها.

وأدعو الله تعالى أن يوفقني إلى الصواب ويهديني لما اختلف فيه من الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المطلب الأول:

تعريف الخليفة لغة واصطلاحاً، وبيان المراد بالخليفة.

المقصد الأول: الخليفة لغة واصطلاحاً.

أولاً الخليفة في اللغة.

خَلَفَ يَخْلُفُ خِلافة وخَلافة. بكسر الخاء وفتحها.

خَلْف: نقيض قدَّام.

الخَلْفُ والخَلَفُ: ما جاء بعدُ، يقال هو خَلْفُ سوءٍ من أبيه، وخَلَفُ صدق من أبيه، إذا قام مقامه.

والخَلَفُ أيضاً: ما استخلفته من شيء

خَلَفَ خِلافه -بكسر الخاء - إذا قام مقامه وسدَّ مسدَّه.

خَلَفَ خَلافة. بفتح الخاء: فسد فهو خالِف: أي رَدِئ أحمق.

خَلَف فلان فلاناً: قام بالأمر عنه: إما معه، وإما بعده.

الخِلافة: النيابة عن غيره لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلَف.

وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض. قال تعالى: "هو الذي جعلكم خلائف الأرض" انظر: الأصفهاني(/ د.ت/ ص١٥٥-١٥٦) الخليفة: السلطان الأعظم. والجمع الخلائف، جاؤوا به على الأصل، مثل كريمة وكرائم، وقالوا أيضاً: خلفاء/ من أجل أنه لايقع إلا على مذكر وفيه الهاءُ، جمعوه على إسقاط الهاء، فصار مثل ظريف وظرفاء؛ لأن "فعيلة" بالهاء لا تجمع على فعلاء (١). الجوهري (١٩٨٢م/ج ص١٣٥٣).

وقال الرازي، رحمه الله: (والخليفة مَنْ يخلف غيره ويقوم مقامه، وهو اسم يصلح للواحد والجمع كما يصلح للذكر والأنثى) الرازي (١٩٨١م ج١ ص١٨٠-١٨١) وقال القرطبي رحمه الله: (وخليفة يكون بمعنى فاعل، أي مَنْ يخلفُ مَنْ كان قبله ... ويجوز أن يكون بمعنى مفعول أي مُخلف، كما يقال ذبيحة بمعنى مفعولة) القرطبي (د.ت ج١ ص٢٦٣).

وبعد فمن خلال بيان أهل اللغة لمعنى كلمة خليفة وبعض أخواتها في الاشتقاق يتضح لنا أن "خليفة: مفرد تجمع على خلائف وخلفاء، قد يراد بها فاعل أو مفعول، ويكون معناه مَنْ يخلُفُ غيره وينوب منابه أو مَنْ يخلفه غيره وينوب منابه.

وفي الحقيقة إن الخليفة خالف ومخلوف، وقد قيل في باب مواعظ الخلفاء والملوك: (لو دامت لغيرك ما وصلت إليك!).

ثانياً: الخليفة في الاصطلاح.

لفظ "الخليفة" ورد في الكتاب والسنة فهو مصطلح شرعي، وجميع الألفاظ أو المصطلحات الشرعية ذات صلة وثيقة باللغة، غير أن الشرع نقلها، من معانيها اللغوية العامة إلى معانٍ أخص، ثم إن العلماء جعلوا بعض الألفاظ ألفاظاً اصطلاحية محضة، تطلق ويراد بها معنى خاصاً اصطلحوا عليه، قد لا يكون له ارتباط بأصله في اللغة.

ولكن لفظ الخليفة جاء موافقاً لمعناه، واستعمله أهل الاصطلاح على أصله، غاية ما في الأمر أنهم قصروه على طرف واحد مما يصدق عليه ممن يخلف غيره وينوب عنه.

ومن هنا فقد عرَّفه بعض الباحثين فقال: (لفظ الخليفة يطلق في الاصطلاح على الرئيس الأعلى للدولة الإسلامية، ويلقب بالإمام، وبأمير المؤمنين، ولقبه المتأخرون بالسلطان الأعظم). عليان (١٩٧٦م ص٢٣). وعليه فالخلافة- كما عرَّفها ابن خلدون رحمه الله وغيره (٢): (هي في الحقيقة نيابه عن صاحب الشرع {النبي} في حفظ الدين وسياسة الدنيا) ابن خلدون (١٩٨١م ص١٩١).

أو هي على حدّ قول الحلي (ت٧٢٦ هـ): (رئاسة عامة من أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي). الحلي(ص٦٧٣). (٣)

وأول من تسمَّى بهذا اللقب هو الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عدل عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى لقب أمير المؤمنين،وإن عُرِفَ هو وسائر الخلفاء الراشدين الأربعة بالخلفاء/ عمارة (١٩٨٩م ص٣٠-٣١).

والمعروف من التاريخ أن هذا الاصطلاح لم يعرف إلا في الدولة الإسلامية، دون غيرها من الأمم في القديم والحديث، حيث أنها تستعمل لهذا المنصب العام ألقاباً ومصطلحات أخرى: كالقيصر، والهرقل، والإمبراطور، أو الملك، أو السلطان...الخ.

ثم إن الأمة الإسلامية -للأسف- قد تأثرت بغيرها من الأمم فهجرت أو كادت أن تهجر هذا اللقب، أو المصطلح الشرعي إلى غيره من المصطلحات، وما أحوجها إلى معاودة استعمال المصطلحات الشرعية والالتزام بها حفاظاً على تميزها وهويتها الإسلامية.

هذا وقد أُخْتُلِفَ في تسمية الخليفة (خليفة الله) كما ذكره ابن خلدون رحمه الله، حيث قال: (واختلف في تسميته (خليفة الله) فأجازه بعضهم اقتباساً من الخلافة العامة للآدميين في قوله تعالى: "إني جاعل من الأرض خليفة" ومنع الجمهور منه؛ لأن معنى الآية ليس عليه، وقد نهى أبو بكر عنه لما دعي به وقال: لست خليفة الله، ولكني خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ ولأن الاستخلاف إنما هو في حق الغائب وأما الحاضر فلا) (٤) (ابن خلدون ١٩٨١م ص١٩١).

قلت: والمختار عندي منع تسميته خليفة الله، كما هو قول الجمهور، دفعاً للمحاذير الباطلة" التي قد تترتب على ذلك، كما سيأتي بيانه فيما بعد.

المقصد الآخر: الخلاف في تعيين المراد بالخليفة: سببه وثمرته.

من المراد بالخليفة في قوله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة)؟ وما ثمرة هذا الخلاف؟ هذا ما سيظهر لنا من خلال هذا الموقف.

اختلف المفسرون في تعيين المراد بالخليفة الذي أخبر الله تعالى، الملائكة عن استخلافه في الأرض على قولين (٥): أحدهما وهو قول جمهور المفسرين: إنَّ المراد بالخليفة في هذه الآية هو آدم عليه الصلاة والسلام، فقط، والقول الآخر: إنَّ المراد هو الجنس البشري بعامة وأن خليفة مفرد أريد به الجمع، أي خلائف وهو قول ابن كثير خاصة حيث قال رحمه الله مبيناً للقولين ومنتصراً لقوله في آنٍ واحد: قوله تعالى: "إني جاعل في الأرض خليفة" أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً، قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل... وليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط، كما يقوله طائفة من المفسرين وعزاه القرطبي (ج٢، ص٢٦٣) إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل، والظاهر أنه لم يرد آدم عيناً) ابن كثير (١٩٦٩م ج١ ص٦٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (خليفة يَعُمُّ آدم وبنيه، ولكن الاسم في الآية متناول لآدم عيناً) ابن تيمية (ج٣٥ ص٤٢).

سبب الاختلاف:

وسبب الاختلاف بين المفسرين هو أن كلمة (خليفة) في الآية تحتمل الوجهين المذكورين، بمعنى أنها ليست نصاً صريحاً قطعي الدلالة، بحيث يحتاج في ترجيح أحد الوجهين إلى مرجحات، وعند سوق المرجحات، تختلف الأنظار والإفهام كما هو معروف في أسباب الاختلاف بين العلماء.

وفي سبيل تعيين المراد بالخليفة سأقوم بعرض أدلة الفريقين، وأناقشها.

أولاً: أدلة القائلين بأن المراد آدم فقط.

١. على الرغم من أن الآية ليست نصاً صريحاً قطعي الدلالة على قولهم إلا أنهم نظروا إلى واقع الحال وما يقتضيه المقام، ويدل عليه ظاهر الآية والمتبادر منها، قال أبو السعود رحمه الله: (... ولاريب في أن ذلك ليس مما يقتضيه المقام أصلاً، وإنما الذي يقتضيه هو الأخبار بجعل آدم خليفة كما يُعْربُ عنه جواب الملائكة عليهم السلام) أبو السعود د.ت ج١ ص٨١. فإذا تأملنا واقع الحال وطبيعة ذلك المقام تبيَّن لنا أن الخطاب في هذه الآية يدور حول شخصية آدم عليه السلام بعينه لا على ذريته، وهذا ما أكده الشنقيطي رحمه الله إذ قال: (وكون الخليفة هو آدم هو الظاهر المتبادر من سياق الآية) الشنقيطي (ج١ ص٤٨).

٢- ويؤيد هذا صريح الآيات التالية لهذه الآية، كما في قوله تعالى: (وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة... قال يا آدم انبئهم بأسمائهم... وإذ قالنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا" الآيات (٣١-٣٤)، فالآيات كما هو ظاهر كلها تتحدث عن آدم عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: أدلة القائلين بأن الخليفة ليس آدم وإنما هو الجنس البشري عامة آدم وذريته.

يعدّ الإمام ابن كثير رحمه الله أشهر من قال ذلك، بل هو أول من بدأ الخلاف في المسألة وانما قول الجمهور قبله على الرأي الأول، وقد رأيت بعض الباحثين المعاصرين قد تبنى هذا الرأي (٦).

١. واستدل ابن كثير على رأيه فقال: (والظاهر أنه لم يرد آدم عيناً إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة :"أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك) (ج١ ص٦٩) ولم يرد على هذا الدليل، كما أنه لم يسهب ببيان وجه دلالة الآية على مطلوبة، فلعله أراد أن قول الملائكة: "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" لا يصدق على آدم فإنه عليه الصلاة والسلام لم يقع منه شيء من ذلك مطلقاً، وانما الفساد وسفك الدماء وقع من بعض أبنائه، فدل هذا على ان المراد ليس آدم عيناً (٧).

٢. واستدلوا بجانب اللغة، وذلك أن كلمة (خليفة) مفرد ونكرة، والمفرد إن كان اسم جنس يطلق ويراد به الجمع وليس فرداً بعينه، وهذا ما وضحه الشنقيطي في تفسيره حيث يقول (... قوله {خليفة} مفرد أريد به الجمع، أي خلائف، والمفرد ان كان اسم جنس يكثر في كلام

العرب إطلاقه مراداً به الجمع كقوله تعالى: " إن المتقين في جنَّات ونَهَر" (سورة القمر آية ٥٤) يعنى وأنهار بدليل قوله تعالى: "فيها أنهار من ماء غير آسن"(سورة محمد آيه ١٥)، وقوله تعالى: "واجعلنا للمتقين إماما" (سورة الفرقان آية ٧٤)، أي أئمة، الشنقيطي (ج١ ص٤٨.)

٣. واستدلوا بدلالة آيات أخرى في مواقع متعددة من القرآن الكريم. قال الشنقيطي على لسانهم: (وإذا كانت هذه الآية تحتمل الوجهين المذكورين، فاعلم أنه قد دلت آيات أخرى على الوجه الثاني، وهو أن المراد بالخليفة: الخلائف من آدم وبنيه وليس آدم نفسه وحده ... كقوله تعالى: "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض (سورة فاطر آية ٣٩)، وقوله تعالى: " وهو الذي جعلكم خلائف الأرض" (سورة الأنعام آية ١٦٥)... ونحو ذلك من الآيات) المرجع السابق.

ثالثاً: مناقشة الأدلة والترجيح.

من خلال النظر والتأمل في أدلة الفريقين، والتأكيد أن الآية ليست نصاً صريحاً قاطعاً على أحد الوجهين، إلا أن الذي يترجح عندي ان المراد بالخليفة هو آدم نفسه كما ذهب إليه الفريق الأول وهو رأي جمهور أهل العلم من الصحابة وغيرهم، وذلك للأسباب التالية:

١. إنَّ الأدلة التي استدل بها هذا الفريق أظهر في الدلالة على المطلوب من أدلة الفريق الآخر، فإن واقع الحال وما يقتضيه المقام، وما كشفت عنه الآيات اللاحقة مباشرة، خلافاً لدلالة الآيات المتباعدة التي ذكرها الفريق الثاني، كل ذلك يؤكد أن المراد بالخليفة في الآية هو آدم عيناً (٨).

٢. إنَّ الآيات التي أوردها ابن كثير رحمه الله تتحدث عن مراحل لاحقة ومتأخرة عن المرحلة التي تتحدث عنها آيات سورة البقرة من (٣٠-٣٤) فنحن لا ننكر أن بني آدم من بعد آدم خلفاء وخلائف يخلف بعضهم بعضاً جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن، ولكن الآية هذه ليست عليهم. وهذا ما وضحه الشنقيطي إذ قال بعد سوق الآيات التي استدل بها الفريق الثاني: (ويمكن الجواب عن هذا بأن المراد بالخليفة آدم، وان الله تعالى أعلم الملائكة أنه يكون من ذريته من يفعل ذلك الفساد وسفك الدماء، فقالوا ما قالوا، وان المراد بخلافة آدم الخلافة الشرعية، وبخلافة ذريته أعم من ذلك، وهو أنهم يذهب منهم قرن ويخلفه قرن آخر) مرجع سابقة (ج١ ص٤٩).

ثمرة الخلاف في المسألة:

على الرغم من ميلي إلى رأي الفريق الأول وهو أن المراد بالخليفة في الآية هو آدم نفسه، ففي نظري أنه ليس هناك ثمة فائدة ترجى لهذا الخلاف الذي تبناه ابن كثير رحمه الله، فكلمة خليفة – كما سبق بيانه- تصلح للمفرد والجمع، ولاسم الفاعل والمفعول، لاسيَّما وأنها وردت مفرد نكرة وهي صيغة قد تفيد الجمع عند الإطلاق، فما المانع أن يكون آدم عليه الصلاة والسلام هو الخليفة الأول وهو المراد بالآية على وجه الخصوص، ولكنه في الوقت نفسه هو مخلوف من قبل ذريته من بعده، فآدم لم يخلق خليفة خالداً مخلداً في الأرض، وإنما سيموت –وقد مات- وسيخلفه، وقد خلفه بالفعل، أبناؤه من بعده، وهم بدورهم خلفاء ومخلوفون، فآدم خليفة ومخلوف، وذريته من بعده خالفة ومخلوفة إلى ان يرث الله تعالى الأرض ومن عليها. ويعدّ هذا مظهراً من مظاهر

الإعجاز البياني للقرآن الكريم حيث استعمل لفظاً يصلح للأمرين معاً، فكلمة (خليفة) كما أشار إليه فضيلة الشيخ عبد الرحمن الميداني هي: (العنوان المناسب لأول مخلوق من هذا النوع) الميداني ١٤٠٣هـ/ ص٤١. وكم كنت أتمنى على علماء التفسير جميعاً أن لو نبهوا على هذا الملحظ، واقتصروا عليه، وتجاوزوا ذلك الخلاف غير المثمر الذي قد يسبب الحيرة للقارئ ويذهب من نفسه رونق الخبر والأسلوب الذي جاء فيه، فالإنسان كله مستخلف في الأرض ومستعمر فيها، وأول الخلفاء والمستعمرين هو آدم عليه السلام، كما دل على ذلك القرآن الكريم في غير موضع.

المطلب الثاني: شيوع هذا القول قديماً وحديثاً

تمهيد:

لست أقصد في هذا المطلب أن أستقصي بالحصر والجمع كل أقوال الذين استعملوا هذا القول قديماً وحديثاً، بوعي منهم أو بغير وعي، فإن ذلك من جهة، غير ممكن، ومن جهة أخرى فإنه غر نافع ولا مجد، ولكن الذي دعاني إليه أمران: أحدهما: الاستدلال على شيوع هذا القول وفشوه، بمعنى إنني أريد أن أثبت القارئ الكريم أن هناك فئات كبيرة من العلماء قد وقعوا في هذا الخطأ، فاعتبروا الإنسان خليفة عن الله تعالى، في الأرض، وصرحوا بأنه نائب عن الله، وقائم مقامه في الأرض، ونصوا على ذلك في مؤلفاتهم وتناقلته الألسن قديماً وحديثاً بقصد وبغير قصد في كثير من الأحيان، غير مدركين للمخاطر واللوازم الباطلة التي قد ترتب على هذا القول.

وأما الأمر الآخر: فهو بيان أن هذا القول ليس أمراً محدثاً معاصراً فقط، كما وصفه بعض المفكرين والباحثين المعاصرين من المعنيين بشؤون الدعوة إذ قال: (على أن الفكرة بحد ذاتها بدعة حديثة من بدع الأفكار، لم يقل بها أحد من السلف، وليس لها سند من نصٍّ شرعي، جُلُّ ما تعتمد عليه تأويل فاسد، ثم شاعت واستهوت كثيراً من الناس وتلامعت ألوانها في نظر الكثير من الدعاة المخلصين في الدعوة إلى الإسلام، ورأوا أنهم يستحثون بها الضمير الإنساني لالتزام منهج الله تعالى، وتطبيق أحكامه وشرائعه... هذا كل ما عند الطبري (٩) حول هذا الرأي، وقد ظهر لي أنه فهم من عنده لرواية رواها، ثم جاء الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار، فوسع الدائرة، وزحف زحفاً تعميمياً في التأويل، فرأى أن الإنسان كله خليفة عن الله في الأرض، ثم أورد الشيخ الميداني كلام صاحب المنار، وسيأتي ذكره في أقوال المعاصرين. الميداني مرجع سابق (ص٤٢-٤٣).

وأنا هنا أتفق تماماً مع فضيلة الشيخ الميداني على أنه لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه قال عن آدم عليه السلام، أو عن الإنسان عامة أو عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- إنَّه خليفة الله، أو عن الله، بل ان هذا فيما يظهر كان مرفوضاً وغير معروف (١٠).

أقول: إلى هذا الحد فإني أتفق تماماً مع فضيلته، ولكني لا أتفق معه على اعتباره المسألة بجميع أبعادها بدعة حديثة معاصرة أشاعها صاحب المنار وغيره من الدعاة المعاصرين وزحفوا بها زحفاً فوسعوا دائرتها.

يقول الدكتور محمد عمارة في حديثه عن نشأة هذا القول: (فوصف {خليفة الله} المعبَّر به عن أن الخليفة يحكم بسلطان (الحق الإلهي) وهي الفكرة الغريبة عن روح الإسلام. هذا الوصف الذي

رفضه أبو بكر عندما وصف به، عاد إلى الظهور في الأدب السياسي بعد أن تحول نظام الحكم عن طبيعة الخلافة واقترب اقتراباً شديداً من نظام الملك، فالزجاج (ت٣١١هـ) يجيز أن يقال للخلفاء "خليفة الله في أرضه" مستدلاً على جواز ذلك بخلافة (داود عليه السلام) لله في الأرض "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض" مع أن ذلك لا يدل له... والشاعر جرير (ت ١١٠هـ) يخاطب الخليفة فيقول: خليفة الله ماذا تأمرون بنا؟

ويقول كذلك: خليفة الله يستسقى به المطر.

وبشار بن برد (ت١٦٧هـ) يتهكم فيقول:

ضاعت خلافتكم، يا قوم، فالتمسوا خليفة الله بين الرق والعود

ويذكرون أن لقب (خليفة الله) قد دخل المكاتبات الرسمية، بعد أن شاع في غيرها زمن المعتصم بن الرشيد (ت٢٢٨هـ).

والجاحظ (ت٢٥٥هـ) يتحدث عن الأدب مع الخلفاء والملوك فيقول: "إنه يقال في مخاطبتهم: يا خليفة الله، ويا أمين الله، ويا أمير المؤمنين" (١١).

ويخاطب الفتح بن خاقان وزير المتوكل فيقول له: "فأمتع الله بك خليفته، ومنحنا وإياك محبته) (١٢) د. عمارة (١٩٨٩م ص٣٩-٤٠).

ففي ضوء هذه الحقائق لايمكن لنا أن نسلّم بأن هذا القول مجرد بدعة حديثة معاصرة، أحدثها صاحب المنار وغيره، على حد قول الشيخ الميداني.

المقصد الأول: نماذج من أقوال أهل العلم في القديم.

١. الإمام ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) رحمه الله ذكر في معرض تفسيره لآية الخلافة فقال: (.. فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس: إني جاعل في الأرض **خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي**، وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله، والحكم بالعدل بين خلقه) ابن كثير (١٩٦٩م ج١ ص٧٠).

٢. الإمام عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ب٣٦٨هـ رحمه الله) قال في رسالته التي ألفها بناءً على طلب الشيخ أبي محفظ محرز الصدفي التونسي المؤدب ت٤١٣هـ: (...وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار الخلود لأوليائه، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم، وهي التي أهبط منها آدم نبيه **وخليفته إلى أرضه**، بما سبق في سابق علمه...) القيرواني (١٩٩٣م ص٣٦).

٣. الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) رحمه الله حيث قال في تفسيره: (والمعني بالخليفة هنا، في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل، آدم –عليه السلام- **وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره...)** (المجلد الأول/ ج٢ ص٢٦٣).

٤. ابن عربي الصوفي (ت٦٣٨هـ) ذكر عنه ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال (١٣): وقد ظن بعض القائلين الغالطين –كابن عربي- أن "الخليفة" عن الله، مثل نائب الله وزعموا أن هذا بمعنى أن يكون الإنسان مستخلفاً... فالإنسان هو الخليفة الجامع للأسماء والصفات) ابن تيمية (ج٣٥ ص٤٤)، (منهاج السنة ج١ ص٣٥٤).

٥. الإمام علي القارئ (ت١٠١٤هـ رحمه الله) حيث ذهب إلى ما هو أوسع من هذا فقال إنَّ الإنسان "**نائب الله في الأرض**" كما ذكره عنه الباحث: خليل إبراهيم قوتلاي في كتابه "الإمام علي القارئ وأثره في علم الحديث" (ص٦٠ طبعة دار البشائر) ، ثم اعترض عليه في ذلك. (انظر: بكر أبو زيد ص٣٢٠).

قلت، تكفينا هذه النماذج من كلام المتقدمين من أهل العلم، وهي شواهد لنا على شيوع استعمال هذا القول عند القدماء ولا يصح القول: إنَّها بدعة محدثة معاصرة فقط، كما قال الميداني.

المقصد الآخر، نماذج من أقوال المعاصرين.

أما أقوال المعاصرين على اختلاف مستوياتهم، فهي من الكثرة بمكان، فإن هذا القول جار على الألسنة، شائع استعماله في عصرنا من غير نكير ولا استغراب، حيث سرت هذه المقولة مسيرة الحقائق المسلَّمة على حدٍّ قول الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني –حفظه الله- وهو من سأبدأ بذكر قوله :

١. (... وربما استخدمتها أنا نفسي، وسجلتها في بعض ما كتبت تسرعاً مني واتباعاً لما يطلقه معظم الدعاة الإسلاميين المعاصرين) الميداني (١٤٣٠هـ ص٣١).

وليته ذكر لنا بعض المواضع في كتبه ومؤلفاته، ولكنه لم يفعل، ولم أستطع الإهتداء بنفسي إلى بعضها، ويكفينا هنا إقراره على نفسه دليلاً على مرادنا.

٢. رشيد رضات (١٣٥٤هـ رحمه الله) حيث قال في تفسير المنار: (جرت سنة الله تعالى في خلقه بأن تعلم أحكامه للناس وتنفذ فيهم على ألسنة أناس منهم يصطفيهم ليكونوا **خلفاء عنه** في ذلك... فلهذا كله جعله **خليفته** في الأرض وهو أخلق المخلوقات بهذه الخلافة... أليس من حكمة الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى أن جعل الإنسان بهذه المواهب **خليفته في الأرض**، يقيم سنته ويظهر عجائب صنعه). رشيد رضا المنار(ج٢ ٢٥٨، ٢٦٠).

٣. سيد قطب (ت١٩٦٧م رحمه الله) حيث يقول: (لقد خفيت على الملائكة حكمة المشيئة العليا، في بناء هذه الأرض وعمارتها... على يد **خليفة الله في أرضه**... ها نحن نشهد طرفاً من ذلك السر الإلهي الذي أودعه الله هذا الكائن البشري، وهو يسلمه مقاليد الخلافة... لقد انكشف ميدان المعركة الخالدة بين إبليس، **وخليفة الله** في الأرض) سيد قطب (١٩٨٠م ج١ ص٥٧،٥٨).

٤. الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري رحمه الله قال في تفسيره صفوة الآثار والمفاهيم (... وأن الله تعالى، جلت حكمته اختار بني آدم أن يكونوا **له خليفة** في الأرض ... واقتضت حكمة الله البالغة بتصوير **خليفته** في إشراف صورة وأحسن تقويم... ويا سبحان الله كيف يختار الله **خليفته في الأرض...)** (الدوسري١٩٨١م ج١ ص٧٣،٧٢،٧٠).

٥. الشيخ محمد أمين الشنقيطي رحمه الله قال في أضواء البيان: (المراد بالخليفة أبونا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لأنه **خليفة الله** في أرضه في تنفيذ أوامره) الشنقيطي (١٩٧٩م ج١ ص٤٨).

٦. الدكتور فاروق دسوقي في كتابه "استخلاف الإنسان في الأرض" يتساءل قائلاً: (كيف يحقق الإنسان **خلافته لله في الأرض؟** وفي ثنايا إجابته عن هذا السؤال يقول: ... والإيمان

أيضاً بالإنسان **خليفة لله ونائباً له** في الأرض يعني أن الإنسان هو المخلوق الأكرم... ومن ثم فمعنى الشرك هو أن يجعل الإنسان بين ذاته وبين الله عزوجل، خلفاء من دونه، في حين هو في ذاته **خليفة لله عز وجل، أي نائباً مباشراً** له، فلا يجوز أن يجعل بينه وبين الله وسطاء...) (دسوقي د.ت/ ص١٤، ٢٤، ٢٦، ٣١.)

ولقد ذهب إلى ما هو أبعد من هذا فلم يكتف بإثبات خلافة الإنسان لله في الأرض، بل لقد اعتبره خليفة الله في الجنة، وهو ما لم أجده عند غيره من أهل العلم قديماً وحديثاً، وهذا نص كلامه: (بيد أن خلافة الإنسان في الأرض إبتلائية، ... في حين **خلافة الإنسان لله في الجنة** خلافة أو ولاية جزائية. فهي نتيجة الخلافة الأولى، ومن ثم فهي خلافة دائمة، ولايكون الإنسان فيها **إلا خليفة لله وليا له** في ملك أبدي دائم وخالد، أي أنه إذا فاز في الابتلاء الجاري عليه في الدنيا، وحقق **خلافته لله في الأرض**... فإنه يكون **خليفة لله ووليا له في الجنة**) المرجع السابق ص٨٧.

والغريب الذي تجدر الإشارة إليه هنا أن الدكتور الدسوقي حفظه الله، قد تناقض مع نفسه، فعلى الرغم من تصريحه بخلافة الإنسان لله في الدنيا والآخرة، وأنه النائب المباشر عنه تعالى –إلا أنه يقول: إنَّ القرآن لم يحدد الجهة التي سيكون الإنسان خليفة لها أو نائباً عنا، وهذا نص كلامه في المواضع السابقة نفسها: (آية الخلافة تفيد جعل الإنسان خليفة دون تحديد للذي سيكون الإنسان خليفة له، فلم يقل الله عزوجل في الآية (خليفة لي)، ولم يقل سبحانه وتعالى "خليفتي" ومن ثم فالإنسان خليفة وفقط... ولم يحدد الله بها من سيكون الإنسان خليفة له، لأن هذا متروك لاختيار الإنسان وعمله).

(المرجع السابق ص١٤، ٢٤، ٨٧.) فسبحان الله القائل: "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً "(سورة النساء آية ٨٢).

أقول: تكفينا هذه النماذج من كلام السابقين والمعاصرين للتدليل بها على مدى شيوع وانتشار هذا القول.

المطلب الثالث: مواقف العلماء وأدلتهم.

من خلال البحث في هذه المسألة تبين لي أن العلماء ذهبوا فيها إلى ثلاثة مذاهب: طرفان ووسط (١٤).

قال في معجم المناهي اللفظية (١٥): (جماع خلاف أهل العلم في هذا على ثلاثة أقوال "الأول: الجواز، فيجوز أن يقال الإنسان خليفة الله في أرضه... الثاني: منع هذا الإطلاق... الثالث: وهو ما قرره ابن القيم بعد ذلك) بكر أبو زيد (١٤٠١هـ/ ص١٥٦.)

إذن نحن أمام ثلاثة اتجاهات: اتجاه يجيز ذلك مطلقاً بحيث لا يرى في ذلك بأساً ولا محذوراً، بل ويسوق الأدلة على ذلك. واتجاه يمنع ذلك مطلقاً ويرى أنه قول محذور ولا يصح إطلاقه وأنه يتضمن لوازم باطلة، ويقدم على ذلك الأدلة. ثم ظهر اتجاه ثالث توسط الطرفين فأجاز ذلك باعتبار، ومنعه باعتبار آخر.

وفي هذا المطلب سأقوم بعرض هذه الأقوال وأدلة كل قول مع مناقشة الأدلة وترجيح القول الذي أراه أقرب إلى الصواب.

المقصد الأول: أدلة القائلين بالجواز.

استدل هذا الفريق بعدد من الأدلة على جواز القول بأن الإنسان خليفة الله في الأرض، ومنها:

١- **الدليل الأول:** استدلوا بقوله تعالى: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيه من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك" (البقرة/٣٠).

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية بعد أن روى بعض الآثار عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: (فكان تأويل الآية على هذا: إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي، وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله، والحكم بالعدل بين خلقه) ابن كثير (١٩١٩م ج١ ص٧٠).

٢- **الدليل الثاني:** واستدلوا أيضاً بقوله تعالى، مخاطباً داود عليه الصلاة والسلام: "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض... "(سورة ص آية٢٦).

قال الزجاج رحمه الله: جاز أن يقال للأئمة: خلفاء الله في أرضه، لقوله تعالى، وذكر الآية. فرحات (١٩٨٦م/ ص١٦.) وقد عول على هذين الدليلين كثير من أنصار هذا أقول من الباحثين المعاصرين (١٦).

٣- **الدليل الثالث:** القياس على خلافة آدم وداود عليهما السلام.

ذكر هذا الدليل (صاحب المصباح المنير ص١٧٨) في بيانه للاختلاف في جواز تسمية كل حاكم أو سلطان "خليفة الله" وذكر استدلال المجيزين ذلك بهذه الآية من جهة (القياس) على تسمية آدم وداود خليفة الله، فقال: (قال بعضهم: ولا يقال: خليفة الله –بالإضافة- إلا لآدم وداود لورود النص بذلك (١٧)، ثم قال: وقيل: يجوز –وهو القياس- لأن الله تعالى، جعله خليفة، كما جعله سلطاناً، وقد سمع: سلطان الله، وجنود الله، وخيل الله. والإضافة تكون بأدنى ملابسة، وعدم السماع لا يقتضي عدم الاطراد مع وجود القياس، ولأنه نكرة تدخله اللام للتعريف، فيدخله ما يعاقبها، وهو الإضافة كسائر أسماء الأجناس. (انظر: فرحات ص١٦.)

٤- واستدلوا أيضاً ببعض الأحاديث النبوية ومنها:

I. **الحديث الأول:** ما أخرجه احمد في مسنده (ج٥ ص٤٠٣،) وأبو داود في سننه (ج٤ ص٤٤٥) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن الفتن (...قال فقلت: يا رسول الله أيكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر؟ قال: نعم... تنشأ دعاة الضلالة فإن كان لله يومئذ في الأرض خليفة جلد ظهرك وأخذ مالك فالزمه. وفي رواية "فإن رأيت يومئذ خليفة الله في الأرض... فألزمه).

II. **الحديث الثاني:** ما أخرجه ابن ماجه في سننه (ج٢ ص١٣٦٧) بسنده عن ثوبان قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: ((يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة. ثم لا يصير الأمر إلى واحد منهم... فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج. فإنه خليفة الله، المهدي)) (١٨).

٥- واستدلوا كذلك بقول الراعي يخاطب أبا بكر الصديق رضي الله عنه:

خليفة الرحمن إنا معشر حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله في أموالنا حق الزكاة منزلاً تنزيلاً

قلت: هذه أشهر ما وجدته من أدلة لمن يجيز إطلاق القول "خليفة الله" على الإنسان عامة أو على بعض أفراده خاصة كالأنبياء والأولياء والخلفاء، وسأقوم بمناقشتها لبيان مدى دلالتها على المطلوب، فيما بعد.

المقصد الثاني: أدلة المانعين.

واستدل الفريق المخالف بعدد من الأدلة وعمدتهم في ذلك ما يلي:

١- احتجوا بقول أبي بكر رضي الله، لما قيل له: "يا خليفة الله" قال: لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وحسبي ذلك (١٩) ابن تيمية (ج٣٥ص٤٥)، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده (ج١ ص١٠-١١) من حديث أبي مليكة (قال: قيل لأبي بكر: ياخليفة الله، فقال: أنا خليفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم- أنا راضٍ به).

٢- وقال ابن تيمية رحمه الله في التدليل على المنع من ذلك: (والله لا يجوز له خليفة.. بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره، قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: "اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم أصبحنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا" (٢٠) وذلك لأنه حيٌّ، شهيد، مهيمن، قيوم، رقيب، حفيظ، غني عن العالمين، ليس له شريك، ولا ظهير، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه.

والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة، ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف. وسمي "خليفة " لأنه خلف عن الغزو، وهو قائم خلفه، وكل هذه المعاني منتقيه في حق الله تعالى، وهو منزه عنها؛ فإنه حي قيوم شهيد، لا يموت ولا يغيب... ولا يجوز أن يكون أحد خلفاً منه، ولا يقوم مقامه؛ لأنه لاسمي له، ولاكفء له. فمن جعل له خليفة فهو مشرك به) ابن تيمية ج٣٥ ص٤٥.

٣- وهذا ما أشار إليه ابن القيم في زاد المعاد أيضاً فقال: (ومما يكره من الألفاظ أن يقال للسلطان: خليفة الله، أو نائب الله في أرضه، فإن الخليفة والنائب إنما يكون عن غائب، والله سبحانه وتعالى، خليفة الغائب في أهله، ووكيل عبده المؤمن) ابن القيم د. (ت ج٢ ص١٠٢.)

٤- وقد أكد ابن خلدون رحمه الله على هذا الدليل أيضاً فقال: (... ولأن الاستخلاف إنما هو في حق الغائب، وأما الحاضر فلا) المقادمة (ص١٩١.)

قلت: هذا أشهر أدلة المانعين من إطلاق القول بخلافة الإنسان لله أو عن الله في الأرض.

المقصد الثالث: مناقشة أدلة الفريقين.

قبل البدء بمناقشة أدلة الطرفين أود أن أقرر حقيقة مفادها:

أن كلاً من الطرفين يفتقر إلى دليل نقلي أو عقلي قطعي الدلالة على ما ذهب إليه، فقد ظهر لي من خلال عرض الأدلة أنها جميعها ليست بينة الدلالة على المطلوب، ومن هنا فإن المسألة اجتهادية وتوفيقية، وستبقى مسألة خلاف مهما كتب فيها من بحوث ودراسات، ومع ذلك فلا بد من مناقشة الأدلة كلاً على حدة حتى يتسنى لنا اختيار أو ترجيح أحد القولين على الآخر فيما بعد.

أولاً: مناقشة أدلة القائلين بالجواز.

١- مناقشة الدليل الأول: استدلالهم بقول الله تعالى: "إني جاعل في الأرض خليفة" هذا الدليل غير مسلم عند الخصم لأمرين: الأول: أن دلالة هذه الآيات على محل النزاع ظنية وليست قطعية، فالله تعالى –من جهة- لم يقل خليفة لي ولا عني، ولم يقل كذلك خليفتي، والملائكة لم تفهم من الخطاب أن هذا المخلوق الجديد خليفة عن الله، فكيف تفسر الآية هذا التفسير وتوجه هذا التوجيه؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فعلى التسليم جدلاً بأن الآية نص صريح على أن آدم خليفة الله، فكيف يعمم النص حتى يشمل الجنس البشري بجميع أفراده.؟!

والأمر الآخر: أن هذا القول هو من فهم الإمام بن جرير الطبري رحمه الله، للآثار التي رواها عن بعض الصحابة في مناسبة نزول هذه الآية وتفسيرها.

وإليك ما رواه الطبري وما قاله بعد ذلك: (عن موسى بن هارون، قال: حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، وعن ابن عباس، وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم-: أن الله جل ثناؤه قال للملائكة: "إني جاعل في الأرض خليفة: قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً) ابن كثير (ص٧٠.)

هذه هي الآثار التي استخلص منها الطبري رحمه الله أن الإنسان خليفة، عن الله في الأرض، وليس فيها أيّة دلالة على ذلك حتى يقول معلقا عليها: (فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس: إني جاعل في الأرض **خليفة مني، يخلفني** في الحكم بين خلقي...) المرجع السابق.

فمن الواضح تماماً أن هذا فهم من الطبري لهذه الرواية لاتدل عليه بأكثر من كونه احتمالاً وراداً على أصل الموضوع، وليس فيها ما يدل على أن عباس وابن مسعود أو غيرهما، قاد قالا هذا القول، فهما هذا الفهم، ثم إن بعض المفسرين –للأسف- أخذ هذا الفهم عن الطبري، وظنوا أن ابن عباس وابن مسعود قد قالا هذا القول فسلموا له دون مناقشة، علماً بأنه –كما ظهر لنا- استنباط وفهم للطبري، وباستطاعتنا أن نفهم من الرواية غير الفهم الذي فهمه الطبري رحمه الله.

فالرواية –كما يقول الشيخ الميداني حفظه الله- (قد حلت فقط أشكالاً مضمونه: كيف عرفت الملائكة أن هذا المخلوق الذي أخبرهم الله عنه، سيكون منه إفساد في الأرض، وسفك للدماء حتى سألوا ربهم هذا السؤال الباحث عن الحكمة... بدليل أنهم سألوا ربهم عن صفات هذا المخلوق الجديد، إذ قالوا: "ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟" أي: أيُّ شيء يكون هذا الخليفة؟ وما هي صفاته؟ وما هي خصائصه؟) الميداني (ص٤١-٤٢.)

ونخلص إلى القول: إنَّ هذا الدليل لا يدل على المطلوب ولا يصلح لإثبات المدعى بأي وجه من الوجوه (٢١).

٢- **مناقشة الدليل الثاني**: وهو استدلالهم بقول الله تعالى، مخاطباً داود عليه الصلاة والسلام:" يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض"فهذه الآية من جهة لاتدل دلالة قطعية على أن داود خليفة عن الله، وإنما أثبتت له الخلافة في الأرض مطلقاً فهو خليفة وفقط، ولم يقل الله تعالى، خليفة لي أو عني، أو أنت خليفتي، ثم من جهة أخرى، لو فرضنا جدلاً أن داود عليه السلام خليفة عن الله تعالى، فكيف يعمم هذا الوصف بحيث يشمل النوع الإنساني كله؟!

ثم أرى أن الاستدلال بهذه الآية على هذا القول، يفسد هذا الخطاب الرباني لسيدنا داود عليه السلام الذي يوحي بنوع من التفضيل والتكريم والاختصاص لداود دون غيره من الأنبياء، فإن الله تعالى، لم يخاطب أحداً غيره بهذه الصيغة.

٣- ومن هنا يظهر لنا أيضاً ضعف دلالة الدليل الثالث الذي أورده صاحب المصباح المنير، وهو تسمية الحاكم أو السلطان خليفة الله (بالقياس) على خلافة داود أو آدم، أو المهدي، فالمقيس عليه محل نزاع، فكيف يقاس عليه، ويدعى أن النص قد ورد به، والآية لا تنص على ذلك!

٤. مناقشة الدليل الرابع: وهو المتضمن الاستدلال بحديثين من أحاديث الفتن كما سبق في العرض

I. أما الأحاديث من حيث السند والرواية فإنها صحيحة، كما سبق.

II. وأما من حيث المتن فقد جاء فيها تسمية المهدي -كعلم للساعة "خليفة الله". فمن جهة يقال: على التسليم جدلاً بجواز استعمال هذا المصطلح- ولكن الحديث خاص بالمهدي، وليس هناك ما يدل على العموم، فكيف تعمم دلالة الحديث بحيث تشمل كل الحكام والسلاطين أو الإنسان بعامة أفراده: الصالح منهم والطالح؟!

ومن جهة أخرى فالخصم لا يسلم بوصف المهدي "خليفة الله" أنه خليفة عن الله تعالى، أو نائب لله تعالى، يحل محله وينوب منابه، كما يصرح به الكثير عن دور الإنسان في الأرض. فما المانع أن يكون كون المهدي خليفة الله بمعنى الحاكم أو السلطان أو الإمام الذي جعله الله حاكماً ووالياً على غيره، أو عن غيره من الناس؟! ويكون هذا هو معنى استخلاف الله للإنسان كما جاء في كثير من الآيات والأحاديث.

نعم لقد سبق أن الخلافة هي النيابة عن الغير والقيام بالأمر عنهم: سواء أكان مع وجود الغير أم بعده، وسواء أكان لغيبة هذا الغير أم لموته، أم لعجزه، أم لشرف المستخلف نفسه، ولكن ما المراد "بالغير" الذي ينوب عنه الخليفة ويقوم مقامه؟.

هل هو المستخلف للخليفة؟ أم هو جهة أخرى غير المستخلف؟.

والذي أراه هنا: أن أهل اللغة وعلماء التفيسر خاصة، لم يلتفتوا لهذا الملحظ، فأطلقوا القول في معنى الخليفة، فتوهموا وأوهموا غيرهم أن الخليفة لا يكون إلا نائباً عمن استخلفه فقط وهنا ثار الإشكال والاختلاف: هل كان آدم أو داود عليه الصلاة والسلام، خليفة عن الله؟ ثم تطور الأمر بحيث شمل الإنسان عامة هل هو خليفة عن الله في الأرض؟ وكان الجواب نعم. وشاع القول، ولهذا أقول: الخليفة ليس بالضرورة أن يكون خليفة مباشراً لمن استخلفه فحسب، فقد يكون مكلفاً بخلافة طرف آخر يخصصه المستخلف.

ومن هنا فآدم عليه السلام والجنس البشري عامة ليس خليفة لله أو عن الله في الأرض، ولكن ينشأ هنا سؤال مشكل وهو: إذا لم يكن آدم عليه السلام خليفة عن الله في الأرض، فعمن كان خليفة إذن؟ والأرض لم يكن فيها أحد؟ أم انه كان فيها سكان؟ وإذا كان فيها فمن هم؟ وما مصيرهم؟ وغير ذلك من الإشكاليات.

ولحل هذه الأسئلة هناك جوابان:

الأول: أن نعدّ خليفة بمعنى مفعول أي مخلوف واللغة -كما سبق- تجيز ذلك.

الآخر: وهو ما لجأ إليه بعض المفسرين من الإعتماد على روايات ضعيفة لا سند لها، تفيد –لو صحت- إن الأرض كانت مسكونة بالجن أو بالملائكة أو بنوع آخر من المخلوقات، وجعل الإنسان مكانها وخليفة لها قام مقامها (٢٢).

ولكن هذه الروايات أشبه ما تكون بالخرافات والأساطير من أخبار بني إسرائيل فلا يعول عليها. (د. فرحات١٩٨٦م ص١٢.)

وهناك توجه ثالث تفرد به بعض المعاصرين ولم أجد له متابعاً يقول: (آية الخلافة تفيد جعل الإنسان خليفة دون تحديد للذي سيكون الإنسان خليفة له، فلم يقل الله عز وجل في الآية "خليفة لي" ولم يقل سبحانه وتعالى "خليفتي" ومن ثم فالإنسان مخلوق خليفة وفقط) (دسوقي ص١٤، ٢٤.)

٥- مناقشة الدليل الخامس. وهو استدلالهم بقول أحد الرعاة مخاطباً أبا بكر رضي الله عنه ""خليفة الرحمن"".

قلت: هذا القول والاستدلال به محل نظر. فهذا القول يتعارض مع قول آخر استدل به المانعون، بل هو عمدتهم كما سبق، وهو أقوى ثبوتاً من هذا القول، فكيف يرفض أبو بكر رضي الله عنه "يا خليفة الله" ويستنكر قوله ويقول: أنا خليفة رسول الله حسبي ذلك ثم يقر هذا الراعي فيما يقول لهذا وكما يقول ابن القيم –أنا أشك في صحة هذا القول، ويغلب على الظن أن أبا بكر لم يسمع هذا القول، فلو سمعه لأنكره ولم يقره كما فعل مع القول الآخر. (انظر: مفتاح دار السعادة ج١ ص١٥٢.)

ثانياً: مناقشة أدلة القائلين بالمنع مطلقاً:

I. **مناقشة الدليل الأول:** وهو المتضمن استدلالهم برفض أبي بكر رضي الله عنه أن يقال له: "خليفة الله"، وقوله: أنا خليفة رسول الله. فهذا الدليل هو عمدة المانعين، ذكره غير واحد منهم، وعدوه شاهداً صريحاً على مدعاهم.

ولكن الفريق المعارض اعترض على هذا الدليل فقال: (أما ما استشهد به ابن تيمية من قول أبي بكر رضي الله عنه، فيمكن أن يحمل على التواضع، لأن أبا بكر لم ينكر على قائل ذلك، ولم يقل له: إنَّ هذا شرك، وإنما نفى ذلك واستنكره بدليل قوله: "حسبي ذلك". (فرحات ص١٥.)

وعليه فمع ورود مثل هذه الاحتمالات فدلالة الدليل ظنية وليست قطعية، والدليل يحتمل أكثر من وجه فإنه لا ينهض للاستدلال به، ولا يمكن ترجيح وجه على آخر إلا بمرجح.

II. مناقشة الدليل الثاني المتضمن: أن الخليفة إنما يكون عمن يغيب ويخلفه غيره، والله حاضر غير غائب ولا يغيب فمحال أن يخلفه غيره، بل هو سبحانه الخليفة الذي يخلف عبده المؤمن.

فهذا الدليل –أيضاً- وإن بدا أول وهلة مقنعاً إلا أنه لم يسلم من اعتراض الخصم وتشكيكه في دلالته.

قال د. فرحات: (ولاشك أن ما ذهب إليه ابن تيمية –هنا- محل نظر؛ لأن الذين أجازوا "الخلافة عن الله" لم يجيزوها على أساس موت المستخلف أو غيبته أو عجزه، وانما أجازوها

على معنى آخر وهو ما أشار إليه الراغب الأصفهاني من أن الخلافة كما تكون بعد المستخلف لغيبته أو لموته أو لعجزه كذلك تكون معه لتشريف المستخلف.

وعلى هذا فما ذهب إليه ابن تيمية من المنع صحيح بالنسبة للمعاني التي ذكرها، وما ذكره غيره من الجواز إنما يتأتى على المعنى الآخر الذي هو التشريف، والذي أعقبه الراغب بقوله: "وعلى ذلك استخلف الله أولياءه في الأرض". فرحات ص١٥.

وهذا اعتراض وجيه، يقوم على وجوب الأخذ بالحسبان للمعنى الذي تقوم على أساسه الخلافة، وعلى وجوب التفصيل، وتحرير محل النزاع وهو ما صار إليه ابن القيم رحمه الله كما سأذكره عند الترجيح.

وبذلك فالدكتور فرحات لم يرد هذا الدليل مطلقاً، وانما اعترض على العموم أو الإطلاق الذي فيه، فهو نيابة عن المجيزين –يتفق مع ابن تيمية على منع إطلاق هذا اللفظ، إذا كانت الخلافة على أساس الاعتبارات التي ذكرها ابن تيمية، وأما إذا كانت قائمة على التشريف فلا مانع من ذلك.

ولكني أسال الدكتور فرحات ومن يرى رأيه أيصح أن يكون ((مع الله خليفة)) حتى لو كان هذا الخليفة شريفاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى؟!

وما معنى أن يكون مع الله خليفة؟! أليس هذا هو الشرك بعينه كما يراه ابن تيمية؟ وما معنى الشرك إذا لم يكن هذا هو؟!

ومن هنا فأني أقول حتى على التسليم جدلاً بأن الإنسان خليفة الله أو خليفة مع الله تشريفاً له، فلا يمكن أن يكون هذا الخليفة الذي شرفه الله بمهمة الخلافة في الأرض –خليفة عن الله، أو خليفة مع الله، أو خليفة لله، أو نائباً عن الله قائماً مقامه، كما يحلو للكثير من المعاصرين أن يعبر به في شتى المناسبات.

المقصد الرابع: الترجيح بين الأقوال.

بعد عرض أدلة الفريقين ومناقشتها أقول:

١. لقد لاحظنا قوة المعاندات الشديدة التي تعترض أدلة كل من الطرفين، وأن ليس هناك دليل قطعي الدلالة على أحد القولين، الأمر الذي يدعونا إلى أحد المواقف التالية: إما التوقف، وإما الجمع بين القولين –كما فعل ابن القيم- إذا كان هذا يحل الخلاف، وإما البحث عن مرجحات جانبية ومؤشرات خارجية لترجيح أحد القولين على الآخر وهو ما أميل إليه.

٢.أما التوقف في المسألة: فهو وإن عرف عن بعضهم قديماً وحديثاً في كثير من مسائل الخلاف –إلا أنه- في نظري- ليس مخرجاً نافعاً، ولا حلاً مجدياً، لأنه قد يفضي بصاحبه، أو بغيره، إلى الحيرة والشك، ولا يحسم المشكلة، ولهذا فإني لا أميل إليه إلا عند خفاء الأمر خفاءً تاماً ولا أظن مسألتنا من هذا القبيل.

٣- وأما الجمع بين القولين، فهو طريق للحل معتبر، ولعله المخرج السليم في كثير من القضايا، ومن أساليب الجمع بين الأقوال: الاستفصال بمعني التفصيل في الأمر المتنازع فيه وتحرير محل الخلاف، وقد سلك هذا المسلك كثير من أهل العلم، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في بحثه للقضايا الخلافية، والمصطلحات الفلسفية والكلامية التي دخلت في العقيدة الإسلامية فكان

يفصل في المسألة ويسأل عن المعنى المختلف فيه ويقول: إنّ كان المراد هو كذا فالصواب كذا وان كان المراد هو كذا فالصواب كذا وكذا.

وقد استغربت هنا موقفه من هذه المسألة التي نحن بصددها حيث ذهب فيها الى منع المطلق، وشدد النكير على القائل بالجواز وعد ذلك من باب الشرك بالله تعالى كما سبق نقل كلامه.

وكان حرياً به أن يستفصل ويفصل في القضية كما فعل تلميذه ابن القيم رحمه الله من بعه- كما سيأتي نقل كلامه تبعا وكما فصل أيضا الدكتور احمد حسن فرحات في رده على قول ابن تيمية كما سبق في مناقشة الأدلة ثم يلجأ الى ترجيح جانب المنع إذا رأى المنع أحوط ولكن يبدو أن هذه المسألة عنده لا تحتمل إلا قولاً واحداً.

٤- وأما التفصيل الذي ذهب إليه ابن القيم رحمه الله فله وجهة غير الوجهة التي سلكها الدكتور فرحات فانه بعد أن أورد أدلة القائلين بالجواز ورد عليها بإيجاز قال :قلت: إنَّ أريد بالإضافة إلى الله :أن الإنسان خليفة عن الله فالصواب قول الطائفة المانعة فيها.

وان أريد بالإضافة أن الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله فهذا لا يمتنع منه الإضافة وحقيقتها أن الإنسان خليفة الله الذي جعله الله خلفا عن غيره) (ابن القيم د.ت/ج١ ص١٥٢.)

والذي يفهم من كلام القائلين بالجواز :انهم يقصدون بالإضافة والتي يصرحون بها جليا أن الإنسان خليفة عن الله في الأرض ونائب عنه وقائم مقامه الى غير ذلك مما يقولونه بوعي أو بغير وعي له.

ومن هنا فإني أميل إلى القول باختيار منع استعمال هذا وأسأل متعجباً.عن الفائدة من الإصرار على استعمال ألفاظ أو أساليب موهمة أو مشكلة كما هو الحال في هذه المسألة فيقال الإنسان خليفة الله؟! ويلح عليها إلحاحا دون شعور بمخاطرها ولوازمها الباطلة.

أني أميل إلى منع التعبير بان الإنسان خليفة الله في الأرض، إلا إذا وضح القائل مراده وبين معنى قوله كما قال ابن القيم، أما أن يطلق القول فيها بحيث لا يظهر مراده ويلتبس الأمر على السامعين أو القارئين فإني أؤكد منع استعماله سدا للذريعة واحتياطا للأمر وبعدا عن الإيهام المشكل وقد بنيت رأيي هذا **على الأسس التالية**:

I- إنَّ الشريعة الإسلامية تقوم على قطع الشبهات وسد باب الذرائع المفضية إليها وهو منهج شرعي عقلي صحيح. وآية سورة البقرة وان جاءت مطلقة إلا أنها لا تحوي بان الإنسان خليفة الله في الأرض وجاءت محفوفة بقرائن تمنع ما فهمه القائلون بالجواز فالملائكة لم تفهم هذا الفهم ثم إن هذا القول لم يشتهر في عهد النبوة ولم يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن نفسه بأنه خليفة الله ولا أن أحداً من الصحابة قال له:أنت خليفة الله ،أو خليفة عن الله، فنقول ألا يسعنا ما وسع الرسول وأصحابه؟!

II- ظهر لي أن المنع مطلقا أحوط لما فيه من رد لكثير من اللوازم العقلية الفاسدة التي أثارها بعض أنصار الفريق المانع – التي سأذكرها- ولا شك أن درء هذه اللوازم فيه حماية ودفاع عن العقيدة وهي الغاية التي لأجلها نشأ علم الكلام عند المسلمين.

واليك بعض هذه اللوازم الباطلة لهذا القول التي ذكرها فضيلة الشيخ عبد الرحمن حسن الميداني حيث قال:(لا شك أن هذه المقولة براقة في ظاهرها ،ولكن لدى تحليلها نلاحظ أنها ذات إشكاليات كبيرة في مفاهيم العقيدة الاسلامية، وبيان لذلك فيما يلي:

١- إنَّ الاستخلاف يتضمن معنى تفويض المستخلف لخليفته، وهذا:

إما أن يكون تفويضاً في الخلق.

أو تفويضاً في الحكم أو الأمر والنهي.

أو تفويضا في العمل والتصرفات.

ثم ناقش الشيخ كل هذه المجالات وبين أن الخليفة لا بد أن يكون مفوضاً على أي معنى من هذه المعاني ووضح أن الإنسان ليس أهلاً لأي نوع من هذه الأنواع غاية ما في الإنسان انه مأمور بالاتباع والطاعة والالتزام وتحقيق العبودية لله تعالى وليس نائبا عنه ولا خليفة له. الميداني (ص٣١-٣٤).

٢- الخلافة عن الله تستلزم العصمة عن المعاصي والذنوب، والإنسان غير معصوم ولا يمكن أن يكون معصوماً.

قال الميداني: (ونلاحظ أيضاً إنَّ مفهوم الخليفة أعلى شأنا من مفهوم النبي، ومن مفهوم الرسول، فالنبي منبأ عن علوم ربانية بالوحي والرسول مكلف بالتبليغ وقد قام دليل العقل والشرع على وجوب كون الرسول معصوما عن المعاصي والمخالفات لئلا يكذب على الله تعالى في بلاغته ولئلا يكون أسوة غير حسنة في أعماله.... فإذا كان الرسول كذلك فكيف بالخليفة الذي تتضمن مهمته تفويضا عمن استخلفه ولو في أدنى الأمور!

إنَّ أدنى ما يشترط فيه بداهة العصمة عما يخالف التصرفات الحكيمة للمستخلف. أفيقال بعد هذا : إنَّ الإنسان على وجه العموم- خليفة الله في أرضه؟!.

وهل يسد ثغرات الأشكال أن نضيف إلى ذلك: لإقامة شرع الله، وعمران الأرض على منهج لله؟ وقد قال الله تعالى، في (سورة يوسف آية ١٢:") وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين" فكيف يصلون لمثل هذه الخلافة؟ وكيف يتسخلفهم الله عنه وهو عز وجل عليم حكيم)؟! (الميداني ص٣٤).

٣- الخلافة فيها معنى الوكالة والإنابة فهل الإنسان وكيل، ونائب عن الله وقائم مقامه كما يصرح به الكثير من المعاصرين؟!

قال الميداني: (والخلافة عن الله فيها معنى التوكيل والإنابة، وقد دلتنا النصوص القرآنية على أن الله هو الوكيل على كل شيء وبين الله لرسوله انه ليس وكيلا على الناس وإنما هو رسول مبلغ فقط وإذا كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم-هو خير خلق الله- ليس وكيلا على الناس عن الله، فان أحداً من بعده لا يصلح لأن يكون عن الله وكيلا ... إذن: فلا توكيل ولا تفويض ولا خلافة عن الله والنصوص شواهد على ذلك.) (الميداني ص ٣٥-٣٨).

٤- فكرة الخلافة عن الله مزلق خطير تتضمن أن يكون الأولى بالخلافة والأصلح بعمارة الأرض هو الأقوى والأعلم وان كان كافرا بالله تعالى وان يستوي الكافر والمؤمن في ذلك على اقل تقدير.(٢٣)

وفي هذا المحذور يقول الميداني حفظه الله: (وفكرة خلافة الإنسان عن الله في الأرض فكرة خطيرة تزحف فيها تعميمات تجعل الأصلح لعمران الأرض عمرانا حضاريا ماديا افضل- هم المؤهلون ليكونوا خلفاء الله في أرضه،ولو كانوا كافرين به جاحدين لوجوده.

وهذه الفكرة تنتقل الى إشاعة وجوب طاعة الدولة الحضارية المستعمرة المتقدمة في مجالات الصناعة والقوة والعلوم المادية ووجوب عدم مقاومتها لأن رجالها هم المؤهلون لعمران الأرض عمرانا حضاريا ماديا فهم خلفاء الله في أرضه الذين تجب طاعتهم وفق قانون استخلاف الأصلح للعمران والأعرف به والأقدر عليه ولو كان الاستخلاف عن الله أمراً واقعاً فعلاً.

ومن هذه النقطة المزلقية الخطيرة زحف "ميرزا غلام احمد القادياني"(٢٤) عميل الإنجليز في الهند والعامل في خدمتهم والناصر لقضاياهم فاسقط ركن الجهاد في سبيل الله وزعم أن الإنجليز هم خلفاء الله في أرضه فلا يجوز قتالهم ولا تجوز مقاومتهم لإخراجهم بل تجب طاعتهم والاستكانة لحكمهم وسلطانهم.) (الميداني ص ٣٨).

٥- هذه المقولة فيها تكريس لغرور الإنسان بنفسه.

قال الميداني ص ٤٣: (لا شك أن الإنسان يجب أن يكون خليفة عن الله في أرضه فهو يرضي بذلك غروره بنفسه ونزعات الاستعلاء التي لديه ولكن ما كل ما يحب الإنسان هو حق في ذاته والتمسك بالخطأ المرضي لما تحب النفوس لا يغني من الحق شيئاً).

٦- وأخيراً فهذه المقولة ذات مساس بصفات الله تعالى(٢٥) ويوضح الشيخ الميداني هذا الأمر فيقول (ص ٤٣-٤٤): (ويبدو الأمر مخيفاً حينما نلاحظ أن الموضوع له مساس بخصائص الرب الخالق الآمر الحاكم المهيمن على كل ذرة في الوجود وكل حركة وسكنة فيه ويتعلق بصفاته عزوجل ومثل هذا لا يجوز إثباته إلا بدليل قاطع عن الشارع.

وما دام النص مترددا بين احتمالات متعددة فالواجب يحتم استبعاد ما تقضي المفاهيم الدينية العامة باستبعاده منها.

إنَّ الملائكة لا يمكن أن يكونوا قد فهموا من قول الله تعالى لهم: " إني جاعل في الأرض خليفة" إنَّ هذا المخلوق سيكون خليفة عن الله لأنهم يعلمون أن الله عليم حكيم فهو لا يختار خليفة عن نفسه على أي مستوى من مستويات الاستخلاف إلا من هو أهل لهذه الخلافة.)

وليس هناك من هو أهل أن يكون خليفة الله أو نائباً عنه في هذا الوجود.

ج- وأخيراً فإذا أضفنا إلى هذا كله : إنَّ الأدلة على جواز هذا القول ظنية الدلالة محتملة للجواز والمنع وتبين أن المنع اظهر دلالة وأوفق مع العقل والشرع، أقول: إذا راعينا مجموع هذه الاعتبارات ترجح إن منع إطلاق هذا القول هو الأولى والأحوط والأسلم وأنه ينبغي للدعاة والخطباء وغيرهم ممن يتصدرون مجال الدعوة الى الله في عصرنا هذا إن يتنبهوا على خطورة هذا الأمر فيذروه أولا ثم يحذروا من مغبته ومخاطره التي قد يفضي إليها ثانياً من حيث لا يشعر قائله ولا يقصده والله تعالى اعلم بالصواب.

الخاتمة

وفي الختام وبعد استعراض هذه المسألة من جميع أطرافها ومن خلال عرض الأدلة ومناقشتها فقد توصلت الى عدة نتائج من أبرزها ما يلي:

١- شيوع هذا القول في القديم والحديث، وانه ليش مجرد قول محدث معاصر، كما قال الشيخ عبد الرحمن الميداني.
٢- افتقار المسألة الى أدلة قطعية الدلالة عند جميع الأطراف.
٣- إنَّ هذا القول له لوازم باطلة ومخاطر عقدية خطيرة.
٤- ولهذا فإني ارجح قول الفريق الذي يمنع إطلاق هذا القول بان الإنسان خليفة الله أو خليفة عن الله في الأرض وان هذا أحوط إذ لا مصلحة شرعية لإجازة هذا القول.
٥- ومن هنا فإني أهيب بالدعاة والخطباء والفعاليات المعنية كافة تجنب استعمال هذا القول، والتنبيه على مخاطره.

والله اسأل أن يهدينا سواء السبيل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعونا: إن الحمد لله رب العالمين.

الهامش

١-انظر أيضاً: القاموس المحيط للفيروز أبادي ت٨١٣هـ مؤسسة الرسالة ط١٩٨٧/٢ ص١٠٤٤.

٢-انظر: الأحكام السلطانية للماوردي- المطبعة المحمودية بمصر ص٣. نقلاً عن الإسلام والخلافة د.رشدي عليان ص١٩.

٣-نقلاً عن المرجع السابق.

٤-انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلي الفراءات ٤٥٨هـ مطبعة الحلبي ١٣٥٦هـ ص١١.

٥-انظر: كتاب الإنسان وجوده وخلافته في الأرض د.عبدالرحمن المطرودي ص٣٣٢-٣٣٥ حيث ذكر أربعة أقوال ترجع في النهاية إلى قولين وانظر في ذلك: أضواء البيان للشقيطي د١ ص٤٨.

٦-انظر المرجع السابق ص٣٣٤.

٧-راجع الشنقيطي ج١، ص٤٩، علماً بأنه من أنصار الفريق الأول.

٨-انظر تفسير الشوكاني ج١، ص٦٢.

٩-سيأتي ذكر قول الطبري رحمه الله فيما بعد، ص من البحث.

١٠-يدل على ذلك رفض أبي بكر الصديق قول القائل له (يا خليفة الله). وسيأتي ذكره، وانظر هنا: مجموع الفتاوي لابن تيمية ج٣٥ ص٤٥ والأحكام السلطانية للماوردي طبعة القاهرة ١٩٦٠م ص١٥.

١١-انظر كتاب/ التاج في أخلاق الملوك –الجاحظ تحقيق محمد أديب طبعة بيروت ١٩٥٥م ص١٥٩-١٦٠. نقلاً عن د.محمد عمارة ص٣٩.

١٢-انظر: رسائل الجاحظ –رسالة مناقب الترك تحقيق عبدالسلام هرون طبعة القاهرة ١٩٦٤م ج١، ص٨. نقلاً عن المرجع السابق ص٤٠.

١٣-راجع كلام ابن عربي في نصوص الحكم له، تحقيق د.أبي العلا عفيفي/ مكتبة دار الثقافة العراق د.ت، ص٤٩-٥٠.

١٤عثرت على قول آخر ولم أجد لصاحبه متابعاً، بل إن صاحبه نفسه لم يلتزم به فكأنها فكرة عرضت في ذهنه ليس أكثر، ولا أدري من أين استوحاها! قال الدكتور فاروق دسوقي: (آية الخلافة تفيد جعل الإنسان خليفة دون تحديد للذي سيكون الإنسان خليفة له، فلم يقل الله عز وجل في الآية "خليفة لي"، ولم يقل سبحانه وتعالي "خليفتي". ومن ثم فالإنسان مخلوق خليفة وفقط دسوقي د.ت ص١٤.

١٥-كتاب اشتمل على قرابة ثمانمئة لفظ من الألفاظ المتداولة على مختلف المستويات نبه فيه صاحبه على مخاطر هذه الألفاظ، وهو كتاب نافع في هذا الباب مرتب على حروف الهجاء.

١٦-انظر: الدكتور: احمد حسن فرحات/ الخلافة في الأرض/ طبعة أولى١٩٨٦م ص١٢. والدكتور عبدالرحمن المطرووي/ الإنسان: وجوده خلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم/ ١٩٩٠م ص٣٤٠-٣٥٠.

١٧-قلت: نعم هذه الآيات نص على خلافة آدم وداود عليهما الصلاة والسلام ولكنها ليست نصاً قاطعاً على أنهما خلفاء عن الله، حتى يصح القياس عليها.

١٨-قال في الزوائد: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك ج٤ ص٤٦٤. وقال حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. ص٤٦٤. وقال حديث صحيح على شرط الشيخين.ووافقه الذهبي.

١٩-انظر: منهاج السنة النبوية له ج٢ ص٣٥٥، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ج٢ ص٣١٢، ومعجم المناهي للفظية ص١٥٦.

٢٠+٢١. الحديث أخرجه مسلم في كتب رقم ٤٢٥ والإمام أحمد ج١ ص٢٥٦، وبقية أصحاب السنن، انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ج٢ ص٧٠.

٢٢. لمعرفة هذه الرويات ونقدها، راجع تفسير ابن كثير ج١ ص٧٠-٧١.

٢٣. انظر صفوة المفاهيم والآثار للدوسري ج٢ ص٧٣-٧٥.

٢٤. راجع في هذا الباب المقال الطويل الذي كتبه الأستاذ إحسان إلهي ظهير رحمه الله في كتابه عن القاديانية نشر إدارة ترجمان السنة/ باكستان/ط١٦ عام١٩٨٣هـ ص١٩-٣٣. وقد قال القادياني إن عصيان الحكومة الإنجليزية عصيان الله.

٢٥. انظر: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بهذا الخصوص في الفتاوي ج٣٥ ص٤٥.

المصادر والمراجع

١-الأصفهاني، أبوالقاسم الحسين بن محمد ت٥٠٢هـ، المفردات في غريب القرآن تحقيق محمد سيد كيلاني، دار الباز/ مكة المكرمة د.ت.

٢-ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ت٧٢٨هـ، مجموع الفتاوي، جمع وترتيب عبدالرحمن قاسم، مكتبة المعارف الرباط، المغرب، د.ت.

٣-ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين احمد بن عبدالحليم ت٧٢٨هـ منهاج السنة النبوية/ تحقيق د.محمد رشاد السالم، مكتبةخياط، بيروت-لبنان، د.ت.

٤-الجوهري، اسماعيل بن حماد ت٣٩٣هـ، الصحاح تحقيق احمد عبدالغفور عطار ط٢، ١٩٨٢م.

٥-ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الأشبيلي ت٨٠٨هـ/ المقدمة، دار القلم/ بيروت-لبنان/ ط١٩٨١/٤م.

٦-دسوقي/ دكتور فاورق احمد استخلاف الإنسان في الأرض/ دار الدعوة الإسكندرية/د.ت.

٧-الدوسري/ عبدالرحمن بن محمد/ صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم/ مكتبة دار الأرقم –الكويت/ط أولى ١٩٨٩م.

٨-الرازي/ فخر الدين محمد بن ضياء الدين المشتهر بخطيب الرأي التفسير الكبير/ دارالفكر/ بيروت -لبنان/ط أولى ١٩٨١م.

٩-رضا/ محمد رشيد/ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار/ دار المعرفة –بيروت- لبنان ط٢ د.ت.

١٠-أبو زيد/ بكر بن عبدالله/ معجم المناهي اللفظية/ دار ابن الجوزي/ المملكة العربية السعودية/ ط٢/ ١٩٧٩م.

١١-أبوالسعود/ محمد بن محمد العمادي ت٩٥١هـ/ تفسير أبي السعود المشهور بإرشاد العقل السليم/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ لبنان/د.ت.

١٢-سيد قطب ت١٩٦٧م/ في ظلال القرآن/ دار الشروق ط١٩٨٠/٩م.

١٣-الشنقيطي/ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي/ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ ط٢/ ١٩٧٩م.

١٤-ابن عربي/ نصوص الحكم/ تحقيق أبي العلا عفيفي/ مكتبة دار الثقافة/ العرق/ د.ت.

١٥-عمارة/ محمد عمارة/ الإسلام وفلسفة الحكم/ دار الشروق/١٩٨٩م.

١٦-عليان/ دكتور رشدي/ الإسلام والخلافة/ مطبعة دار السلام بغداد/ ط أولى/ ١٩٧٦م.

١٧-فرحات/ دكتور أحمد حسن/ الخلافة في الأرض/ دار الأرقم الكويت/ ط أولى/ ١٩٨٦م.

١٨-الفيومي/ أحمد بن محمد بن على ت٧٧٠هـ/ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي/ المكتبة العلمية/ بيروت/د.ت.

١٩-القرطبي/ أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري/ الجامع لأحكام القرآن/ ط١٩٥٢/٢م.

٢٠-قوتلاي/ خليل ابراهيم/ الإمام علي القارئ وأثره في علم الحديث/ طبعة دار البشائر.
٢١-القيرواني/ الإمام ابن أبي زيد ت٣٨٦هـ/ العقيدة الإسلامية التي ينشأ عليها الصغار/ تحقيق عبدالفتاح أبي غدة/ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب/ ط أولى/ ١٩٩٣م.
٢٢-ابن قيم الجوزية/ أبوعبدالله محمد بن أبي بكر ت٧٥٢هـ/ زاد المعاد في هدى خير العباد/ تحقيق محمد حامد الفقي/ مطبعة السنة المحمدية القاهرة/د.ت.
٢٣-ابن قيم الجوزية/ ابوعبدالله محمد بن أبي بكر ت٧٥٢هـ/ مفتاح دار السعادة ومنشور العلم والإرادة/ دار الكتب العلمية بيروت، د.ت.
٢٤-ابن كثير/ أبوالفداء اسماعيل القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ/ تفسير القرآن العظيم/ دار إحياء التراث العربي، بيروت/ ١٩٦٩م.
٢٥-المطرودي/ الدكتور عبدالرحمن بن ابراهيم/ الإنسان: وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم/ مكتبة وهبة/ القاهرة ط أولى/ ١٩٩٠م.
٢٦-الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة/ بحث في مجلة كلية الدعوة وأصول الدين بمكة المكرمة/ العدد الأول – السنة الأولى ١٤٠٢-١٤٠٣ هـ مجلة دورية.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ١٩٩٩/٢/٢٢.